اراد ان يكون رجلا ... وشريفا

بيان نويهض الحوت

ما أكثر ما كان يحب ، وما أقل ما كان لا يحب .

وقد كان مما لا يحب ... المواعيد .

كان حقا لا يحبها ، ان اعطى صديقا موعدا ، ربما أخلف. كان يحب الزيارات المفاجئة الخاطفة ، وكان لا يترك بيت صديق ، الا ويترك وراءه اطياف ابتسامات على الوجوه .

ولما كان موعده الاكبر ، كان الموعد كما هو يحب المواعيد ، من غير موعد ، فقد جاؤوه في منتصف الليل ، وفي زيارة مفاجئة خاطفة وتركوا رصاصا ودخانا ودماء .

واخذ الهاتف في منزله يرن بالحاح . حتى الثالثة صباحا والهاتف يزعق . اكثر من صديق اتصل بالرقم السري الجديد ليطمئن عليه ، وما أجاب . فقال كل صديق لنفسه — والمدينة متشحة بالظلام وأصداء الرصاص والرعب — لم ينم كمال ناصر في بيته الليلة .

ما مر في بال واحد منهم انه ملقى على أرض بيته ، ما مر في بال واحد منهم انه ما عاد يسمع الهاتف ، وما عاد يبتسم .

خيالات الشر تتراءى للانسان دوما في لحظات القلق العادي ، فكيف يحدث — والقلق عظيم — عكس ما يمكن ان يحدث .

كيف يهدىء كل صديق من روع نفسه — وهو قابع في ركن بيته — ويقول : الحمد لله لم ينم في بيته الليلة .

الرصاص ووجهه ... الصمت المطبق وعيناه ... النهاية المرعبة وابتسامته ... الفوضى الدامية وجسده ... أبعد من كل خيال .

كثيرا ما سمعنا اناسا تقول ، لا نصدق **ان فلانا قد** مات . ثم يمر الزمن ويصدق الناس .

أما هو ، فما من أحد يصدق حتى اليوم — انه مات .

يمر ببالنا في لحظات كثيرة عندما يقرع الباب على غير ميعاد ، ربما كان كمال ناصر . يمر ببالنا في ساعات جدل كثيرة ، لو كان كمال ناصر معنا ، لكان يقول كذا .. لكان يسخر هكذا .

اقوال واقوال اخترعناها ونسبناها اليه منذ أن قالوا لنا انه مات .

نحن كبشر ، نعجز عن تفسير الموت . كل ما نستطيعه ان نحاول الابتعاد عن الكفر، ان نحاول أن نصدق ، وان نهز رؤوسنا مؤمنين او مدعين الايمان .

ولكننا — وامامنا ذكراه الغالية — كيف لا نحبه بعد أن مات اكثر . كيف لا ، وهو لم يدعنا لانفسنا بعد ، لم يتركنا وحدنا بعد ، لنشعر حقا انه مات ، لنحزن حقا .

كان روحا غنية لم نزل نشعر بدفئها من حولنا .